الإمام الخميني والقضية المهدوية

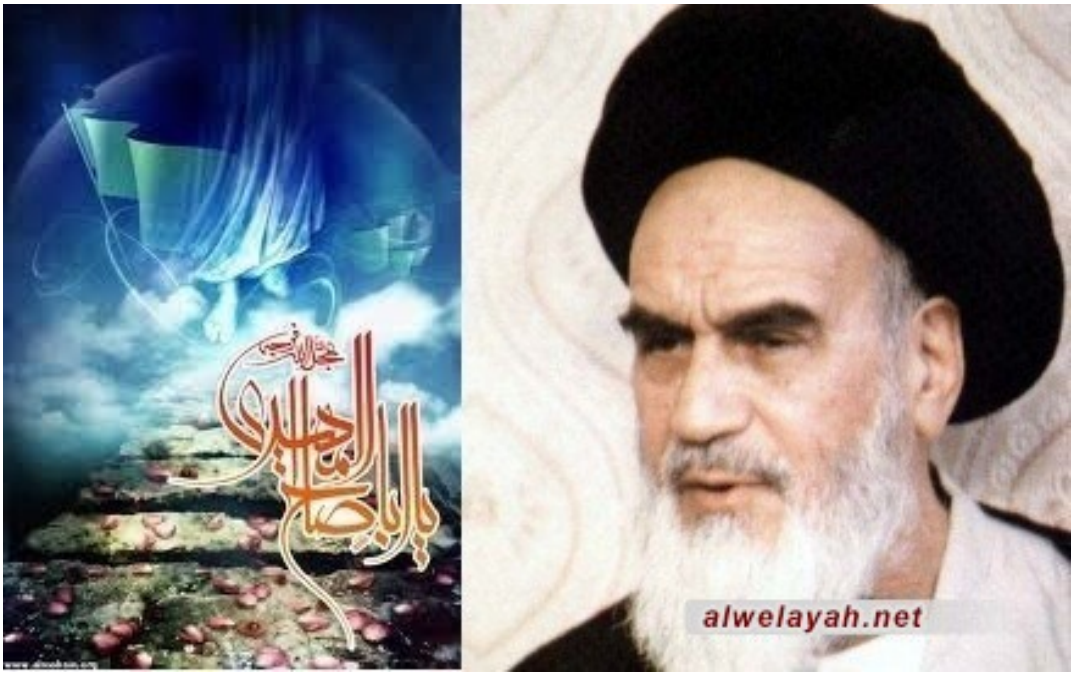

الإمام الخميني والقضية المهدوية

2007-08-21

محمد عبد الجبار

أولاً: عمومية المسألة المهدوية:

محورية المسألة في الفكر الإسلامي

تشكل "المسألة المهدوية" محوراً مركزياً في المنظومة الإسلامية، سواء على الصعيد العقائدي أو على الصعيد السياسي، أو على صعيد الوعي التاريخي، أو على المستوى التربوي والسلوكي.

ونقصد بالمسألة المهدوية الإيمان بقيام ثورة عالمية يقودها مصلح عالمي تنتهي بسيطرته على العالم كله، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وتترتب على هذا الإيمان مسؤوليات وآثار سلوكية وسياسية، بالاضافة إلى كونه يشكل مفردة عقائدية تصوغ الرؤية التاريخية للإنسان المؤمن.

المهدوية ظاهرة دينية عامة وليست من مختصات الفكر الشيعي

والاعتقاد السائد والشائع هو أن المسألة المهدوية من مختصات الشيعة الإمامية، الذين يؤمنون بإمامة الإمام علي بن ابي طالب، وإمامة احد عشر رجلاً من احفاده، آخرهم هو الإمام المهدي، الغائب، والملقب بالإمام المنتظر، والذي غاب غيبة صغرى عام 260هـ، ثم ما لبث أن غاب غيبته الكبرى اعتباراً من 15 شعبان عام 329هـ، مفتتحاً ما تسميه الادبيات الشيعية، خاصة، بعصر الغيبة الكبرى، الذي مازلنا نعيش فيه.

لكن الحق أن المسألة المهدوية ليست من مختصات الفكر الشيعي، اولاً، وليست من مختصات الفكر الإسلامي ثانياً، بل هي من المفردات العقائدية التي نجدها بهذا الشكل أو ذاك عند مختلف اشكال الفكر الديني، الموصوف بالسماوي.

ويرى الباحث الإسلامي الشيعي المرحوم هاشم معروف الحسني أن الاعتقاد بظهور مخلّص للبشرية، مما تتخبط فيه، شائع في الديانات القديمة وعند بعض الامم التي لا ترجع إلى الاديان السماوية. ويدعى البعض أن أنبياء بني اسرائيل بشروا بظهور محرر ومخلص يبعثه ا ليخلص البشرية مما تعانيه. ومازال الكثيرون ينتظرون ظهوره. كما يعتقد الكثيرون من المسيحيين برجعة المسيح لانقاذ العالم من الظلم.

ويقول د. احمد محمد صبحي في كتابه "نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية": إن مسيحيي الاحباش ينتظرون عودة مليكهم "تيودور" كمهدي في آخر الزمان. وأضاف إلى ذلك أن في الديانات غير المسيحية عقائد لا تختلف عن المهدي عند المسلمين اختلافاً كبيراً، إذ يعتقد المغول أن "تيمورلنك" أو "جنكيز خان" قد وعد قبل موته بعودته إلى الدنيا لتخليص قومه من الحكم الصيني.

وفي الاساطير الفارسية ينتظر المجوس "أشيدر بابي" احد أعقاب "زرادشت".

وفي الديانات المصرية القديمة وكتب الصينيين وعقائد الهنود القدامى المتعلقة بتناسخ الأرواح عقائد مماثلة لما عند الفرس القدامى[1].

إن الأصل في المسألة المهدوية انها فكرة دينية، بمعنى انها من الافكار التي جاءت بها الأديان السماوية منذ القدم، كغيرها من الافكار الاخرى، مثل فكرة الجنة والنار ويوم القيامة وغير ذلك.

غير أن طرح المسألة المهدوية كان يتناسب من حيث العمق والاتساع بمستوى النضج الفكري الذي تكون عليه البشرية عند نزول الوحي. وهذه قاعدة في الطرح النبوي أسماها الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر بظاهرة "التغيير والتجديد في النبوة" التي عاشتها ظاهرة النبوة في تاريخ الإنسان على مر الزمن حتى وضع لها الحل النهائي على يد الرسالة الخاتمة[2].

تطور المسألة المهدوية مع ظهور السلام

وبالتالي، نستطيع أن نفترض أن طرح المسألة المهدوية في البداية كان يتركز على التبشير بمستقبل زاهر وسعيد للبشرية، دون الإشارة إلى تفاصيل ذلك المستقبل، ثم تطور الطرح في وقت لاحق ليتم الاشارة إلى الرجل الصالح الذي سوف يتحقق على يديه ذلك المستقبل السعيد. وحينما جاء دور الرسالة الإسلامية (في عهد الرسول وعصر الأئمة) تم طرح المسألة المهدوية بوضوح كامل وتفصيل كبير، حتى اصبح من الممكن الحديث عن ابعاد هذه المسألة الكثيرة والمترابطة، رغم أن بعضها يتعلق بقضايا مستقبلية بعيدة جداً، كالحديث ـ مثلاً ـ عن مسألة "المجتمع المعصوم".

في نفس الوقت يمكننا أن نفترض أن الاشارات المتلاحقة للمسألة المهدوية، خاصة تلك التي تمت على ايدي قدامى الأنبياء، قد تعرضت لانحرافات كثيرة كشأن غيرها من الافكار الدينية، بحيث افرزت "معتقدات مهدوية" بعيدة عن الافكار الاولى التي طرحها اولئك الأنبياء، الامر الذي استدعى أن تقوم الرسالة الإسلامية بإعادة طرحها بصورتها الصحيحة والكاملة، وقد اصبحت المسألة المهدوية مسألة إسلامية، بمعنى كونها جزءاً من المنظومة الفكرية الإسلامية، منذ أن تحدث الرسول محمد (ص) عن ذلك الرجل، الحفيد، الذي سوف يحمل اسمه، ويفتح العالم، ويقيم الدولة الإسلامية. وقد استطاع الباحث الإسلامي د.عبد الهادي الفضلي البرهنة على "إن باحثي موضوع المهدي المنتظر، من سنيين وشيعيين يمتدون بجذور المسألة إلى احاديث صادرة عن النبي (ص)... ثبت صحة صدورها، اما لأنها متواترة... أو لأنها اخبار آحاد توفرت على شرائط الصحة"[3]، الا أن عوامل معينة، لسنا بصددها الآن، ادت إلى "تمذهب" المسألة، بمعنى تحولها في انظار الآخرين إلى مسألة من مختصات الفكر الشيعي، وهو ما نفيناه قبل قليل، الا ان هذا لا يمنع من القول إن الشيعة هم اكثر المسلمين اهتماماً واحتفالاً بالمسألة المهدوية، لسببين على الاقل، هما: اولاً: لجهة خصوصية ارتباطهم بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وثانياً لوفرة ما لديهم من أحاديث يرويها أولئك الأئمة، والتي تجعل المهدوية على درجة من الوضوح تفوق نظيراتها لدى فرق المسلمين

الاخرى، الا أن هذين الاعتبارين لا يبرران تمذهب المسألة بأية حال من الاحوال؛ فالمسألة المهدوية مسألة إسلامية، ويجب النظر اليها والتعامل معها على هذا الأساس.

المسألة المهدوية مسألة إنسانية عامة

يبقى أن نشير في هذه المقدمة إلى أن المسألة المهدوية ـ بمعنى الإيمان بمستقبل سعيد للبشرية ـ تكاد تكون مسألة إنسانية عامة. فإن الفكر البشري يميل الآن إلى الاعتقاد بأن مستقبل البشرية، على نحو الاجمال، سيكون مستقبلاً زاهراً، وتعتبر الماركسية اكثر العقائد الوضعية إيماناً بالمستقبل السعيد للبشرية، والذي تسميه الادبيات الماركسية بالمجتمع الشيوعي الثاني، ويقول احد الكتاب الماركسيين في هذا الصدد: "إن الشيوعية هي المستقبل المشرق للإنسانية جمعاء"[4]. واذا كان الفكر الإسلامي يختلف عن الفكر الماركسي في الكثير من تفاصيل مستقبل البشرية، فان البحث العلمي يقتضينا الاقرار بأن هاتين المدرستين الفكريتين تتفقان في تصور مستقبل سعيد للبشرية. وهذه مسألة مركزية مهمة.

ثانيا: أبعاد المسألة المهدوية:

قلت، قبل قليل، إن المسألة المهدوية تشكل محوراً مركزياً في المنظومة الإسلامية، سواء على الصعيد العقائدي، أو على التاريخي، أو السياسي، أو التربوي والسلوكي.

وسأحاول، الآن، أن اتحدث عن هذه الابعاد الاربعة:

البعد العقائدي للمسألة المهدوية

إن الاعتراف بالمهدي كإمام مفترض الطاعة وقائد فعلي للأمة، من مسائل الإيمان[5]، التي تؤلف البنية العقيدية للإنسان، والتي تندرج تحت مصطلح "أصول الدين"[6]، وبلغ من خطورة هذه المسألة على المستوى العقائدي والإيمان أن الرسول محمد (ص) جعل الإيمان بها شرطاً لصحة الإيمان به، كما في الحديث القائل: "من انكر القائم من ولدي فقد انكرني"، ويقول في حديث آخر: "من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني"[7].

إن الإيمان بالمهدي، في واقعه، امتداد للإيمان بأصل الإمامة. لأن المهدي هو الإمام الثاني عشر،

والإيمان به تعبير عن الإيمان بهذا الخط. والإمامة "اصل من أصول الدين لا يتم الإيمان الا بها"[8].

كما أن الإيمان بالإمامة امتداد للإيمان بالنبوة، لأن الإمامة امتداد للنبوة، فالإيمان بالمهدي احد مصاديق الإيمان بالنبوة، والنبوة "وظيفة إلهية وسفارة ربانية"[9]. وهكذا تكتمل السلسلة الربانية: (النبي ـ الأئمة ـ المهدي)

إن الإيمان بالمهدي عبارة عن الإيمان بأن السيادة العالمية ستكون للرسالة الإسلامية، وهذا هو جوهر الإيمان بالنبي محمد[10]. اذن، فان انكار المهدي يؤدي إلى انكار هذه الفكرة.

ومن جهة اخرى، فإن الإيمان بالمهدي تعبير عن الإيمان بغائية خلق البشرية، تلك الفكرة الأساسية التي يشير اليها القرآن الكريم بقوله: {وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون}[الذاريات:56]، حيث تدل هذه الآية الكريمة على أن الهدف الأساسي من خلق البشرية هو عبادتهم الخالق القدير، مع ملاحظة أن المفهوم الصحيح لعبادة ا يعني ايجاد المجتمع المعصوم برأيه العام، بل بكل افراده، على اعتبار أن عمق العبادة وعمومها يقتضي هذا المعنى بالضرورة.

وعليه، فان انكار الإمام المهدي يكون مؤدياً إلى نتيجة من عدة نتائج كلها باطلة،كما سيتضح فيما يلي:

* النتيجة الاولى: إن خلق البشرية ليس وراءه هدف وغاية.

ـ وهذا منفي بنص القرآن الكريم.

* النتيجة الثانية : إن الغرض من الخليقة ـ وأن كان موجوداً ـ الا أنه ليس ايجاد المجتمع الصالح العابد، بل هو امر آخر لا نعلمه.

ـ وهذا مخالف لنص القرآن الكريم ايضاً.

* النتيجة الثالثة: إن هذا الغرض الإلهي ـ وأن كان ثابتاً ـ ليس من الضروري نزوله إلى حيز التطبيق، بل يمكن أن يبقى نظريا على طول الخط.

ـ وهذا مردود، لأنه يعني تخلف الخالق الحكيم عن مقتضى حكمته، وهذا مستحيل عقلاً.

* النتيجة الرابعة: إن هذا الغرض يتحقق، الا انه لا يحتاج إلى قائد، بل يمكن أن يتم ذلك تلقائياً.

ـ وهذا مردود، بعد أن ثبت وجود هذا القائد الموعود.

* النتيجة الخامسة: إن تنفيذ هذا الغرض يحتاج إلى قائد، ولكنه غير منحصر بالمهدي.

ـ وهذا عجيب، لأنه ليس المقصود بالمهدي الا ذلك القائد الذي يحقق الغرض الإلهي[11].

البعد التاريخي للمسألة المهدوية

نعني بالبعد التاريخي "الرؤية الخاصة التي يفهم ويفسر بها الإنسان حركة التاريخ ابتداءً، ونهاية، وآلية". وعادة، تزود "الايديولوجيات" اتباعها بمثل هذه الرؤية، بعد أن تزودهم بالتصور العام عن الكون والحياة والإنسان. وربما ذهب البعض إلى ابعد من هذا، حين يقولون إن الرؤية التاريخية هي العقيدة، ولعلهم يقصدون أن العقيدة الفلسفية عن الكون والحياة والإنسان لا قيمة لها اذا لم تزود المؤمن رؤية تفسيرية للحركة التاريخية وهذا حق؛ فإن هذه الرؤية ضرورية لحركة العقيدة نفسها في الواقع والتاريخ، وضرورية ايضا لحركة الإنسان في الواقع والتاريخ.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم التركيز القرآني الملموس على المسألة التاريخية، والذي شكل في آخر المطاف نظرية قرآنية لتفسير حركة التاريخ البشري؛ وتتلخص الرؤية القرآنية للتاريخ[12] بكون التاريخ حركة مستمرة ذات غاية محددة هي لقاء الله سبحانه وتعالى، وتحقيق العبودية الكاملة والمطلقة في اطار المجتمع العالمي الموحِّد والموحَّد، المسمى بـ "المجتمع المعصوم".

ومن اجل تحقيق هذه الغاية لابد من توفر ثلاثة شروط هي: وجود الأطروحة الإلهية التي تتكفل تنظيم المجتمع المعصوم بما يحقق عبادة الناس لله، ووجود العدد الكافي من الناس الذين يأخذون على عاتقهم تطبيق هذه الأطروحة، واخيراً وجود قائد مؤهل لقيادة البشرية من اجل تطبيق الأطروحة الكاملة واقامة المجتمع المعصوم. ولهذا، فإن تحقيق هذه الغاية لابد أن يمر بعدة مراحل من اجل توفير الشروط الثلاثة المذكورة، وهذه المراحل هي نفسها مراحل حركة التاريخ البشري في التخطيط الإلهي، وهي : مرحلة الحضانة، مرحلة المجتمع الفطري، مرحلة الاختلاف، مرحلة الظهور، واخيراً مرحلة المجتمع المعصوم.

ولابد أن القارئ الكريم لاحظ اننا التقينا مرتين بالإمام المهدي حين تحدثنا عن الرؤية القرآنية لحركة التاريخ: مرة حين تحدثنا عن شروط تحقيق الغاية الربانية، ومرة حين تحدثنا عن مراحل الحركة التاريخية. حيث إن المرحلة الرابعة، وهي مرحلة الظهور، لا تعني سوى ظهور الإمام المهدي، بعد غيبة طويلة، هي الغيبة الكبرى.

إن "المهدوية" التي تعني اقامة المجتمع المعصوم بقيادة الإمام المهدي في المستقبل، هي عنوان التفسير القرآني لحركة التاريخ. بمعنى أن هذا التفسير يبقى ناقصاً اذا لم يرتبط بالإيمان بالإمام المهدي ومعرفة دوره في حركة التاريخ. إن حركة التاريخ سوف تحقق غايتها بظهور الإمام.. وبدون هذا القدر من العلم لا تكتمل السلسلة التاريخية. إن الإيمان بالإمام المهدي هو المدخل الصحيح لفهم الرؤية الإسلامية للحركة التاريخية لأن حركة التاريخ هي، في جوهرها، صيرورة مستمرة من اجل توفير شروط اقامة المجتمع المعصوم، ووجود الإمام المهدي، ثم ظهوره، وقيامه بقيادة البشرية، هو من هذه الشروط، كما عرفنا قبل قليل. إن الوعي التاريخي هو وعي مهدوي. والوعي المهدوي هو الوعي التاريخي الصحيح.

* البعد السياسي للمسألة المهدوية

تدخل المسألة المهدوية في عمق الجانب السياسي للمؤمنين، الا أن تفعيل الحضور السياسي للمسألة المهدوية وتجذيره يتوقف على وعي المسألة المهدوية وعياً معمقاً ودقيقاً.

وتظهر الدلالة السياسية الاولى للمسألة المهدوية في قضية القيادة الإسلامية؛ فالإمام المهدي هو القائد الشرعي للأمة الإسلامية، وغيابه لا يلغي مركزه القيادي. واذا كان الإمام علي (ع) والأئمة الآخرون من احفاده، قادة للإسلاميين في عصورهم، فإن الإمام المهدي، بالنسبة للمؤمنين به، هو القائد المعاصر، وهو "المعصوم المفترض الطاعة الحي منذ ولادته إلى زمان حضوره"[13].

ولم يشأ التخطيط الرباني أن يترك المؤمنين دون قيادة فعلية وشرعية في فترة غيبة الإمام المهدي الكبرى، فجعل القيادة في هذه الفترة للفقهاء العدول، بحيث يكون الفقيه نائباً للامام المهدي؛ فقد جاء في الحديث عن الإمام الحسن العسكري، والد الإمام المهدي: "فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه"[14].

ومن هنا نشأت نظرة القيادة المرجعية، التي هي الامتداد الطبيعي للقيادة المهدوية في زمن الغيبة

الكبرى، وعليه يكون الإيمان بالقيادة المرجعية وطاعتها امتداداً للإيمان بالقيادة المهدوية وطاعتها. وقد تمت مراعاة هذه الدلالة السياسية في البنية القيادة للجمهورية الإسلامية، حيث جاء في المادة الخامسة من دستور الجمهورية الإسلامية: "في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل ا تعالى فرجه) تعتبر ولاية الامر وإمامة الامة في جمهورية ايران الإسلامية بيد الفقيه العادل المتقي البصير بأمور العصر الشجاع القادر على الادارة والتدبير"[15].

اما الدلالة السياسية الثانية للمسألة المهدوية فتظهر في طبيعة ومضمون العمل السياسي الإسلامي، وخاصة في زمن الغيبة الكبرى[16]. إن المسألة المهدوية تقوم على أساس الاعتقاد بوجود تخطيط إلهي مركزي للمسيرة الإسلامية عبر التاريخ[17]. والعمل السياسي الإسلامي المؤمن بالمسألة يجب أن يستوعب التخطيط المهدوي، من جهة، ويحقق حالة من الانسجام بينه وبين هذا التخطيط، بمعنى أن العمل السياسي الإسلامي يجب أن يكون منطلقاً من التخطيط المهدوي، ومرتبطاً به ارتباطاً عضوياً، ومحققاً لأهدافه ومهامه المرحلية والاستراتيجية. إن تحرك العمل السياسي الإسلامي بمعزل عن التخطيط الإلهي المتدرج ضمن المسألة المهدوية سوف يوقعه في اشكالات إيمانية وعملية كثيرة، ويوقعه في غربة مزدوجة: غربة عن المسألة المهدوية، وغربة عن الاتجاه العام لحركة التاريخ والذي يحدده التخطيط الإلهي لهذه الحركة. إن العمل السياسي الإسلامي يجب أن لا يسبح عكس التيار، أو بعيداً عنه، وإنما يجب أن يكون في قلبه، وفي اتجاهه، والتيار هو الحركة التاريخية العامة باتجاه ظهور الإمام المهدي.

وعلى هذا الأساس، فإن الحالة السليمة للعمل السياسي الإسلامي، في أي زمن، خاصة في عصر الغيبة الكبرى، تكمن في أن يكون هذا العمل عبارة عن "حلقة" مترابطة ومتكاملة مع حلقات المسيرة العامة للمسألة المهدوية.

وتقودنا هذه الدلالة إلى الدلالة السياسية الثالثة للمسألة المهدوية، وهي أن الهدف المركزي "الاستراتيجي" للعمل السياسي الإسلامي في أي مكان وزمان يجب أن يندرج ضمن اطار تهيئة البشرية، على المستوى المحلي والعالمي، تهيئة فكرية ونفسية وعملية، لظهور الإمام المنتظر، وبغض النظر عن الأهداف المحلية (من حيث المكان، أو البلد)، أو الأهداف المرحلية (من حيث الزمان) التي يتحرك العمل الإسلامي من اجل تحقيقها. إن هذه اشكالية حساسة قد تواجه العمل الإسلامي، وهي تكمن في ضرورة الملاءمة والجمع بين الهدف الموضعي من جهة، والمسؤولية المهدوية من جهة ثانية، وعلى مدى قدرة المتصدين للعمل الإسلامي على تحقيق هذه الملاءمة يتحقق الانسجام والترابط العضوي المطلوب والمفروض بين العمل السياسي الإسلامي والمسألة المهدوية، وهذا يتطلب ـ كما ألمحنا قبل قليل ـ أن يحقق المتصدون للعمل الإسلامي درجة عالية من وعي المسألة المهدوية، وادراك ابعادها، والتفاعل معها، والانسجام مع متطلباتها، ثم

معايشة اجوائها ومهامها بصورة معمقة ودائمة، كما كان حال الإمام الخميني (رض)، كما سنشرح بعد قليل. إن المتوقع من المتصدين للعمل الإسلامي، في أي مكان وزمان وتحت أي ظرف سياسي، أن يشعروا بأنهم يحققون بنداً ما من بنود المخطط المهدوي العظيم، لا أن يكون عملهم، مهما عظم وحقق، في واد، والمسألة المهدوية في واد آخر.

* البعد التربوي والسلوكي للمسألة المهدوية

إن المسألة المهدوية، أي الإيمان بوجود الإمام المعصوم وبحضوره، افضل مدخل لتربية الإنسان تربية إسلامية حقيقية وفعلية، لأن الإيمان الواقعي السليم والصحيح بالإمام المهدي يخلق عند الإنسان شعوراً عميقاً وحساً مباشراً بالارتباط بالقيادة الربانية المعصومة، الحية، والحاضرة، رغم غيبتها، اضافة إلى الارتباط التفصيلي بالفقيه، نائب الإمام، من خلال مسألة "التقليد" في الاحكام الشرعية التفصيلية.

إن الإيمان بالمسألة المهدوية يخلق عند المسلم المؤمن احساساً بأن امامه وقائده مطلع على اعماله وملم بأقواله، يفرح للتصرف الصالح، ويأسف للسلوك المنحرف، ويعضد الفرد عند الملمات.. وحسب الفرد ذلك لكي يعي موقفه ويحدد سلوكه تجاه امامه، وهو يعلم انه يمثل العدل الكامل، وأن رضاه رضاء ا ورسوله، وأن غضبه غضب ا ورسوله.

وحسب الفرد المؤمن أن يعرف أن عمله الصالح ورفع درجة اخلاصه وتعميق شعوره بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين، يشارك في تأسيس شرط الظهور ويقرب اليوم الموعود. اذن، فالجهاد الاكبر لكل فرد تجاه نفسه يحمل المسؤولية الكبرى تجاه العالم كله، وملئه قسطا وعدلاً كما ملئ ظلماً وجوراً؛ فيكف لا ينطلق الفرد مجاهداً مضحياً عاملاً في سبيل اصلاح نفسه وارضاء ربه[18]. ويتحقق البعد التربوي والسلوكي للمسألة المهدوية عن طريق مقولة الانتظار الايجابي[19].

ثالثا: الإمام الخميني والمسألة المهدوية:

الحديث عن وجود رابطة قوية بين الإمام الخميني(رض) والمسألة المهدوية، على صعيد الفكر والوعي والممارسة، هو حديث عن مسألة بديهية ومفروضة؛ فنحن نفترض انه لابد أن تكون هناك علاقة قوية جداً بين الإمام الخميني والمسألة المهدوية، على الاقل لاعتبارين:

* الاعتبار الاول كون الإمام الخميني حقق درجة عالية من الذوبان في الإسلام والقرب العرفاني من ا

سبحانه وتعالى ومن الاندكاك بخط أهل البيت، الذي يمثله الأئمة عليهم السلام، ومن ثم الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه. والإمام نفسه عبر عن هذا الامر حين كتب في وصيته يقول:

"نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون بدءاً من علي بن ابي طالب وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان عليه وعلى آبائه آلاف التحية والسلام، وهو بمشيئة الله القدير حي يراقب الامور"[20].

وقد انعكس هذا الاعتبار على احاديث الإمام الخميني حول الإمام المهدي إلى الدرجة التي تجعل المرء لا ينفك عن الشعور بأن الإمام الخميني يعرف الإمام المهدي عن قرب، حتى إن الإمام الخميني اشار إلى الإمام المهدي في احدى خطبه بقوله: "... ذلك الرجل العظيم، الذي سوف ينشر القسط والعدل في العالم، إن شاء الله، وينهي هذا الظلم الذي يعاني منه المستضعفون"[21].

اما الاعتبار الثاني فهو كون الإمام الخميني على علاقة "رسمية" بالإمام المهدي، واعني بها علاقة النيابة العامة؛فالإمام الخميني، بحكم كونه فقيهاً جامعاً للشرائط، نائب عام للإمام المهدي، وقد تكرست هذه العلاقة دستورياً وقانونياً في دستور الجمهورية الإسلامية، كما اشارت المادة الخامسة من الدستور، والتي اوردناها في الصفحات السابقة من هذا البحث. وهذا هو المعتقد الإمامي في موقع الفقيه لجهة علاقته بالإمام المهدي، ولجهة علاقته بالأمة؛ فالمجتهد الجامع للشرائط "نائب للامام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس"[22]. ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام الخميني يعي مدلول هذه النسبة القانونية بينه وبين الإمام المهدي، الامر الذي لابد أن يؤسس علاقة متينة، شعورية ونفسية وفكرية، بينهما.

وقد تجلت هذه العلاقة بعدة ظواهر ومصاديق، نذكر بعضها كما يلي:

* اولاً: القيام بتوعية الشعب الايراني خاصة والمسلمين عامة بمسألة الإمام المهدي، ويحفظ تراث الإمام ـ الآن ـ الكثير من الخطب والنصوص التي يتحدث فيها نائب الإمام عن الإمام المهدي، الرجل، الذي عرفه عن كثب وقرب، من ذلك النداء الذي وجهه الإمام بمناسبة 15 شعبان عام 1401، والذي جاء فيه:

"بوركت الذكرى المباركة السعيدة لولادة خاتم الاوصياء ومفخر الاولياء الحجة بن الحسن العسكري، ارواحنا فداء لمقدمه، على مظلومي الدهر ومستضعفي العالم. وكم مبارك ولادة شخصية كبيرة، حيث انه يقيم العدل الذي بعث الأنبياء (ع) من اجل اقامته. وكم مبارك ولادة رجل عظيم سوف يطهر الأرض من شر

الظالمين والدجالين وسوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وسوف يقضي على مستكبري العالم ويجعل المستضعفين ورّاث الأرض. وكم سعيد ومبارك ذلك اليوم الذي يتطهر العالم فيه من الدجل والفتن وتنبسط حكومة العدل الإلهية في كل ارجاء المعمورة، ويخرج المنافقون والمحتالون من مسرح الحياة وترفرف راية العدالة والرحمة الإلهية على بسيط الأرض، ويسود البشرية قانون العدل الإسلامي فقط، وتنهد قصور الظلم وقلاع الطغيان، وتتحقق غاية بعثة الأنبياء عليهم صلوات ا، وحماة الاولياء، عليهم السلام، وتنزل بركات ا تعالى على الأرض، وتنكسر اسنة الاقلام المخزية وتُقطع ألسنة النفاق، ويشع سلطان الخالق على العالم، وينعزل الشياطين وأشباه الشياطين وتنحل منظمات حقوق الإنسان الكاذبة، ونأمل أن يقرب ا تعالى ـ في اسرع وقت ـ ذلك اليوم السعيد بظهور هذا المولود المبارك وتشرق شمس الهداية والإمامة"[23].

* ثانياً: التأكيد على الصلة العضوية بين الثورة الإسلامية والدولة الإسلامية الراهنة، وبين ظهور الإمام المهدي، إلى درجة الطلب إلى ا بأن يديم هذه الثورة والدولة حتى ظهور الإمام، الامر الذي يؤكد أن وعي الإمام الخميني "لاستراتيجية" العمل الإسلامي في عصر الغيبة مرتبط بوعيه الأساسي للمسألة المهدوية. وهذا ما نجده في العديد من نصوص الإمام التي يقول فيها، على سبيل المثال، لا الحصر:

ـ "اسأل ا أن تتصل ثورتنا بثورة امام العصر سلام ا عليه"[24].

ـ "اتمنى أن يحافظ هذا البلد (...) على استقلاله إلى ظهور الإمام المهدي، لكي يضع جميع طاقاته في خدمة ذلك الرجل العظيم"[25].

ـ "ارجو أن تكون هذه الثورة شعلة إلهية (...) وتنتهي بطلوع فجر الثورة المباركة لامام العصر..."[26].

ـ "اتمنى من ا أن يوفقنا جميعاً، وأن نتقدم بالإسلام إلى الإمام حتى ظهور صاحب العصر سلام ا عليه"[27].

بل إن الإمام الخميني اعتبر أن قيام الثورة وانتصارها سيكون مقدمة لظهور الإمام المهدي واقامة دولته، حيث يقول:

"إن ثورة ايران الإسلامية ـ بتأييد ا المنان ـ في حالة توسع على مستوى البسيطة، وإن بسطها سوف

يعزل القوى الشيطانية إن شاء ا، ويهيّئ الاجواء لاقامة حكومة المستضعفين والحكومية العالمية للامام المهدي صاحب الزمان"[28].

* ثالثاً: اعتبر الإمام الخميني أن الدولة الإسلامية في ايران هي دولة الإمام المهدي، أي الدولة السائرة وفق تعاليمه، والممهدة لظهوره، تأكيداً للترابط بين الحلقة الراهنة للعمل الإسلامي، ممثلة بالدولة الإسلامية، وبين الحلقة الاكبر، وهي ظهور الإمام المهدي، وكثيراً ما كان الإمام الخميني يردد عبارة "بلد الإمام المهدي"[29] في الاشارة إلى الجمهورية الإسلامية.

ويشير الإمام الخميني، تبعاً لهذه الفكرة، إلى أن سكان هذه الجمهورية هم من "المنتظرين" للإمام المهدي، والانتظار الايجابي يجب أن يتجلى في تطبيق الاحكام الإسلامية، حيث يقول:

"ونحن المنتظرون لقدومه الميمون علينا اليوم، أن نسعى بكل طاقاتنا ليسود قانون العدالة الإلهية، في دولة صاحب العصر هذه".

ويؤكد الإمام الخميني على قرب الدولة الإسلامية ومجاهديها من الإمام المهدي، حيث يتحدث عن متابعة الإمام المهدي لشؤون الدولة وينظر إلى تضحيات مجاهديها، الامر الذي يعزز الصلة بين هؤلاء وبين الإمام المهدي.

"اليوم يظللكم الإسلام... ولي العصر (ع) ينظر اليكم"[30].

ومما يؤكد هذا التصور أن الإمام الخميني كان يخاطب مباشرة الإمام المهدي ويقدم له التعازي أو التهاني بحسب ما كان يحصل في الجمهورية الإسلامية من احداث؛ ففي النداء الذي وجهه بمناسبة كارثة انفجار مقر الحزب الجمهوري الإسلامي، الذي استشهد فيه آية ا بهشتي وآخرون من اخوانه، في 27 شعبان 1401، قال الإمام:

"انني ـ مرة اخرى ـ اقدم التهاني والتعازي إلى امام العصر ارواحنا له الفداء"[31].

وفي وصيته اكد الإمام الخميني على أن النظام الجمهوري الإسلامي محل رضى الإمام المهدي، بحيث انه لو سقط هذا النظام، فانه لن يحل محله نظام يرضاه الإمام:

"لو هزمت هذه الجمهورية الإسلامية فلن يحل محلها نظام إسلامي يرضاه بقية الله روحي فداه"[32].

والخلاصة، إن الإمام الخميني (رض) جسد في سلوكه واحاديثه ومواقفه كل ابعاد المسألة المهدوية، فكان جهاده تجسيداً للعمل الإسلامي المرتبط عضوياً بالإمام المهدي في عصر الغيبة الكبرى.

والحمد لله رب العالمين

---

[1]هاشم معروف الحسني "سيرة الأئمة الاثني عشر"، الجزء الثاني، ص541 ـ 542.

[2] الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر "النبوة الخاتمة"، ص38. (محاضرة ألقاها السيد بمناسبة الذكرى النبوية سنة 1388هـ).

[3] د.عبد الهادي الفضلي، "في انتظار الإمام"، ص 13.

[4] للتفصيل اقرأ: جواد سعدي "مستقبل الإنسانية بين الماركسية والمهدوية" دراسة على حلقتين نشرت في مجلة "الوحدة الإسلامية" العددين 122، و 123 الصادرين في 24 آذار 1989، و 7 نيسان 1989، على التوالي.

[5] "الإيمان بأمر هو العلم به مع الالتزام به عملاً، فلو لم يلتزم لم يكن إيماناً وإن كان هناك علم". العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان، الجزء 18، ص158.

[6] وهذه لا يجوز التقليد فيها "لأن المطلوب شرعاً في أصول الدين إن يحصل العلم واليقين للمكلف بربه ونبيه ومعاده ودينه وامامه، ودعت الشريعة كل إنسان إلى أن يتحمل بنفسه مسؤولية عقائده الدينية الأساسية". الإمام الشهيد محمد باقر الصدر. "الفتاوى الواضحة"، ص91.

[7] السيد محمد الصدر، "تاريخ الغيبة الكبرى"، ص338، نقلاً عن اكمال الدين.

[8] الشيخ محمد رضا المظفر، "عقائد الإمامية"، ص65.

[9] المصدر السابق، ص48.

[10] قارن بقوله تعالى: {هو الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله}[الصف:9].

[11] للتفصيل اقرأ: محمد الصدر، "تاريخ الغيبة الكبرى"، ص339ـ340.

[12] انظر مقالنا "الإيمان بالإمام المهدي من منظور تاريخي"، مجلة "الوحدة الإسلامية"، العدد 122، بتاريخ 24/3/1989، ومقالنا: "المسيرة الإنسانية"، مجلة "المنطلق"، العدد 29، تشرين الاول 1985.

[13] السيد محمد الصدر، "تاريخ الغيبة الكبرى"، ص336ـ337.

[14] الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، "الإسلام يقود الحياة"، ص160، نقلا عن وسائل الشيعة، للتفصيل اقرأ: الإمام الخميني "الحكومة الإسلامية" والسيد كاظم الحائري، "أساس الحكومة الإسلامية".

[15] دستور الجمهورية الإسلامية، الاصل الخامس، ص18.

[16] للتفصيل اقرأ مقالنا: "اشكال الممارسة العملية في عصر الغيبة الكبرى"، مجلة المنطلق، العدد 42، نيسان 1988، ص13ـ27.

[17] فيما يتعلق بالتخطيط الإلهي، اقرأ: السيد محمد الصدر، "اليوم الموعود"، ص625ـ628.

[18] السيد محمد الصدر، "تاريخ الغيبة الكبرى"، ص337.

[19] للتفصيل اقرا: السيد محمد الصدر، "تاريخ الغيبة الكبرى"، ص341ـ346، وص427ـ450، واقرأ ايضاً الشهيد مطهري، "نهضة المهدي وفلسفة التاريخ"، وايضاً: محمد رضا حكيمي، "شمس المغرب"، ص255ـ325.

[20] الإمام الخميني، "الوصية"، (طبعة مجلة "الوحدة الإسلامية")، ص3.

[21] الإمام الخميني، "المختارات"، الجزء 3، ص132، خطاب بتاريخ 20/4/1981.

[22] الشيخ محمد رضا المظفر، "عقائد الإمامية"، ص 34.

[23] "المختارات"، الجزء 4، ص39ـ40.

[24] "المختارات"، ج3، ص41 (خطاب بتاريخ 30/12/1980).

[25] المصدر السابق، ص132 (خطاب بتاريخ 20/4/1981).

[26] المصدر السابق، ص64 (نداء بتاريخ 29رمضان1401هـ).

[27] المصدر السابق، ص204 (خطاب بتاريخ 9 ربيع الثاني1402هـ).

[28] المصدر السابق، ص141 (بيان بتاريخ 7 محرم 1402هـ).

[29] المصدر السابق، ص168 (برقية بتاريخ 15 صفر 1402هـ)، والجزء الثالث، ص 132 (خطاب بتاريخ 20/4/1981).

[30] "المختارات"، ج1، ص27، خطاب 3 آذار 1979.

[31] "المختارات"، ج4، ص 50.

[32] "الوصية"، ص21.